

من المسلم في الدين اليهودي ان « عودة » اليهود من الشتات الى جبل صهيون في « اورشليم » (القدس) أمر حتمي . ومن المسلم في التاريخ اليهودي ان حنين اليهود وبالذات فقراهم الى الارض الام في فلسطين ان هو الا رد فعل عاطفي لفظاعة الحياة واليأس من صلاح الاحوال في المنفى . ولعل خير تعبير عن هذا الحنين هو نشيدهم الذي يجري بهذه الكلمات : « لا نزال مشردين في هذا العالم ، ولكن في العام القادم سنكون في اورشليم . . ولا نزال عبيدا في هذا العام . . ولكن في العام القادم سنكون اناسا احراراً » .

ومفهوم هذا النشيد ان ما يعذب في الشتات هو التشرد والعبودية ، وان ما يبعث الامل هو العمل لا من أجل حرية اليهود في الارض التي بها يعيشون وانما من اجل الخروج للعودة الى اورشليم .

ولا يسع من يقرأ التوراة الا ان يعترف بما في قصة موسى وهو يقود شعبه من أرض الفراعنة الى أرض اللبن والعسل من معان ورموز تستطيع الصهيونية ان تطوعها لخدمة الدعوة بين يهود الشتات للتحرر من العبودية والخوف « بالعودة الى أرض الميعاد » . ويتضح من القصة انها تقيد الصهيونية لو احسن اخراجها في لغة السينما ففيها التشرد والعبودية والامل والعمل من أجل الخروج والعودة « بالشعب المختار » الى الارض « المورثة » . ومن هنا وقوع اختيار شركة بارامونت لصاحبها ادولف زوكور على قصة موسى لتنتجها تحت اسم « الوصايا العشر » مرتين المرة الاولى صامئة بلا الوان عام ١٩٢٣ في أيام قل فيها اقبال بني اسرائيل على الهجرة الى أرض الانبياء . والمرة الثانية ناطقة بالالوان عام ١٩٥٦ عقب اعلان قيام دولة اسرائيل في أيام انحسرت فيها موجة هجرة ابناء « الشعب المختار » .

وفي كلا الفيلمين كان « سيسيل ب دي ميل » هو المخرج وفي كليهما كان لا هم للمخرج الأمريكي — الذي شاهدهنا الى جوار ادولف زوكور وهربرت روتشيلد في صورة ترجع الى أيام الرواد عقب ارسال الوعد الى لورد روتشيلد بقليل — الا ان يتناول قصة موسى وبني اسرائيل أثناء وجودهم في أرض مصر ثم أثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير أهل مصر وكأنهم ابناء شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش في اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

وهذا السبيل الذي سلكه « دي ميل » لا يثير دهشة أحد ، فالتاريخ ليس من الامور التي يهتم بها او يهتز لها ، آية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة « نفرتري » او « نفرتيتي » في الوصايا العشر رغم ان التاريخ يقول ان هذه الاميرة عاشت في غير عصر موسى ، لم يعر اعتراضهم التفاتا وزاد من حيرة نقاده حين قال في استهتار بين ان ثمة امرتين بهذين الاسمين يفصل بينهما قرن ونصف من عمر مصر القديمة . وان الاميرة العاشقة (آن باكستر) لموسى (شارلتون هستون) في الفيلم هي نفرتري ونفرتيتي في آن واحد . وانه في فيلمه عن السيد المسيح « ملك الملوك » القى مسئولية موت المخلص على كايافاس بدلا من يهوذا مراعاة منه لشعور اليهود (٨) . وانما الذي يثير الدهشة ان يجيء « دي ميل » الى مصر خلال عام ١٩٥٤ ليصور فيلمه في ربوعها ، وان يشارك الجيش المصري في بعض المشاهد لشعب مصر سيما مشهد البحر الاحمر وهو ينطلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يفرق الله الآخرين اي فرعون ومن معه من الجنود المصريين . وان يلعب « عباس البغدادي » — وهو ضابط مصري سابق من سلاح الفرسان — دور سائق عربة رمسيس فرعون مصر (راي براينر) (٩) . وان يتوج ذلك كله بحفل افتتاح كبير يعرض فيه فيلم « الوصايا العشر » بدنية نيويورك يوم التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٦ أي فور اجتياح القوات الاسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قل ساعات معدودات (١٠) .